نهاية أعوان الظلمة

للشيخ عبد المجيد حمود عامر

"أبي البراء الإبي"

بيت المقدس



Baytalmaqdiss44@gmail.com

بيت المقدس

نهاية أعوان الظلمة

للشيخ/

عبد المجيد حمود عامر

"أبي البراء الإبي"

– رحمه الله–

بيت المقدس

الفهرس

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ... وبعد:

فدائماً رؤوس الظلم من البشر هم أساس الفساد على وجه المعمورة، فإن أعوانهم وأتباعهم لا يقلون عنهم سوءا ولا ذما، فإنما انتشر الظلم في الأرض من خلالهم، وإنما مورس القهر والبغي على الناس بقوتهم وأيديهم، فمن هو فرعون لولا جنده وأتباعه وأعوانه كمثل هامان وأشكاله.

ولهذا جاء ذكر "الملأ" في القرآن الكريم بصيغة الذم والقدح والتوبيخ، نظرا لكونهم أعوان الظلمة وأتباعهم، قال تعالى على لسان قوم هود: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (66)﴾ [الأعراف: 66]، وقال تعالى على لسان قوم صالح: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾ [الأعراف: 88].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:" لهذا يقال: من أعان ظالما بلي به وهذا عام في جميع الظلمة من أهل الأقوال والأعمال، وأهل البدع والفجور، وكل من خالف الكتاب والسنة من خبر أو أمر أو عمل فهو ظالم".

فلا تجزعن من سيرة أنت سرتها فأولُ راضٍ سُنَّةً من يسيرها

في مصرع الطغاة الجاثمين على صدر الأمة بالحديد والنار عبرة وعِظة، خُربت قُصورهم العامرة، كما خَربوا بيوت الضعفاء المتواضعة، ويحق فيهم قوله تعالى: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (25) وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (26) وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ

(27) كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ (28) فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ (29)﴾ [الدخان: 25-29].

قُتل أولادهم كما قَتلوا أولاد غيرهم، دُوهمت بيوتهم على أهاليهم، كما داهموا بيوت غيرهم على عوائلهم، أُخذوا إلى أماكن مجهولة، كما أَخذوا غيرهم إلى أماكن مجهولة، أُخذت ممتلكاتهم كما أَخذوا ممتلكات غيرهم، مُنعوا من زيارتهم في معتقلاتهم، كما مَنعوا غَيرهم من زيارة أهليهم في معتقلاتهم، رُوعت عوائلهم، كما رَوعوا عوائل غيرهم، أُذلوا في وقت اعتقالاتهم، كما أَذلوا غيرهم في وقت الاعتقال، بَكى الأهل والقريب والصاحب والحبيب عليهم، كما أَبكوا أهل وقريب وصاحب وحبيب غيرهم، سالت منهم الدماء، كما أسألوا دماء غيرهم.

من سياسة أمريكا والغرب أنهم يُجرئون عملاءهم الخونة من الطواغيت على ظلم شعوبهم، وهضم حقوقهم، وعلى مزيد من الطغيان، بالقتل، والأسر، والتشريد، حتى إذا ما حلت ساعة الخلاص منهم، وقامت الثورات عليهم، وشاءوا أن يتدخلوا بشؤون البلاد استدلت تلك القوى العالمية الاستعمارية بظلم هؤلاء الحكام العملاء كورقة ضغط عليهم، وكمبرر لعزلهم وإزالتهم، مستغلة في ذلك نقمة الشعوب المظلومة عليهم! وإلا فالقذافي وحسني مبارك وزين تونس وعفاش، كم خدموا الغرب، ومع هذا لما جاءت ساعة الصفر تخلوا عنهم حتى قتل بعضهم بأبشع القتلات.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى في البدائع: "سبحان الله كم بكت في تنعم الظالم عين أرملة واحترقت كبد يتيم وجرت دمعة مسكين ﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ (46)﴾ [المرسلات: 46] ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ (88)﴾ [ص: 88] ما

ابيض لون رغيفهم حتى اسود لون ضعيفهم وما سمنت أجسامهم حتى انتحلت أجسام ما استأثروا عليه.

لا تحتقر دعاء المظلوم فشرر قلبه محمول بعجيج صوته إلى سقف بيتك، ويحك نبال أدعيته مصيبة وإن تأخر الوقت، قوسه قلبه المقروح، ووتره سواد الليل، وأستاذه صاحب "لأنصرنك ولو بعد حين" وقد رأيتَ ولكن لستَ تعتبر احذر عداوة مَن ينام وطرفه باك يقلب وجهه في السماء يرمي سهاما ما لها غرض سوى الأحشاء منك فربما ولعلها إذا كانت راحة اللذة تثمر ثمرة العقوبة لم يحسن تناولها ما تساوي لذة سنة غم ساعة فكيف والأمر بالعكس " أ هـ.

أعوان الظلمة دائماً يجدون الذل والمهانة والعبودية لغير الله تعالى، ولعل هذه العقوبة من أشد وأقسى العقوبات الدنيوية لأتباع الظلمة، فهم في الدنيا عبيد أذلاء لبشر مثلهم، استعبدهم وأذلهم وأخضعهم لخدمته وخدمة شهواته، واسمع للتعبير القرآني عن هذا الذل والهوان لهؤلاء الأتباع من خلال قول الله تعالى: ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (54)﴾ [الزخرف: 54].

قال ابن القيم رحمه الله في كتابه "مفتاح دار السعادة": "وتأمل حكمته تعالى في تسليط العدو على العباد إذا جار قويهم على ضعيفهم، ولم يأخذ للمظلوم حقه من ظالمه، كيف يسلط عليهم من يفعل بهم كفعلهم برعاياهم وضعفائهم سواء، وهذه سنة الله تعالى منذ أن قامت الدنيا إلى أن تطوى الأرض ويعيدها كما بدأها، وتأمل حكمته تعالى في أن جعل ملوك العباد وأمراءهم وولائهم من جنس أعمالهم، بل كأن أعمالهم ظهرت في صور ولاتهم وملوكهم، فإن استقاموا استقام ملوكهم. وإن عدلوا عدلت عليهم، وإن جاروا جار ملوكهم وولاتهم، وإن ظهر منهم المكر والخديعة فولاتهم كذلك، وأن منعوا حقوق الله لديهم وبخلوا بها عليهم، وإن أخذوا

ممن يستضعفونه ما لا يستحقونه في معاملتهم أخذ منهم الملوك ما لا يستحقونه، وضربت عليهم المكوس والوظائف، وكل ما يستخرجونه من الضعيف يستخرجه الملوك منهم بالقوة. فعمالهم ظهرت في صور أعمالهم، وليس في الحكمة الإلهية أن يولي على الأشرار الفجار إلا من يكون من جنسهم، ولما كان الصدر الأول خيار القرون وأبرها، كان ولاتهم كذلك، فلما شابوا شاب لهم الولاة، فحكمة الله تأبى أن يولي علينا في مثل هذه الأزمان مثل معاوية، وعمر بن عبدالعزيز فضلا عن مثل أبي بكر وعمر، بل ولاتنا على قدرنا، وولاة من قبلنا على قدرهم، وكل الأمرين موجب الحكمة ومقتضاها، ومن له فطنه إذا سافر بفكره في هذا الباب رأى الحكمة الإلهية سائرة في القضاء والقدر، ظاهرة وباطنة فيه، كما في الخلق والأمر سواء، فإياك أن تظن بظنك الفاسد أن شيئا من أقضيته وأقداره عار من الحكمة البالغة، بل جميع أقضيته تعالى واقعة على أتم وجوه الحكمة والصواب ولكن العقول الضعيفة محجوبة بضعفها عن إدراكها" أ هـ.

قال سيد قطب رحمه الله: "واستخفاف الطغاة للجماهير أمر لا غرابة فيه فهم يعزلون الجماهير أولا عن كل سبل المعرفة، ويحجبون عنهم الحقائق حتى ينسوها، ولا يعودوا يبحثون عنها ويلقون في روعهم ما يشاءون من المؤثرات حتى تنطبع نفوسهم بهذه المؤثرات المصطنعة. ومن ثم يسهل استخفافهم بعد ذلك، ويلين قيادهم، فيذهبون بهم ذات اليمين وذات الشمال مطمئنين! ولا يملك الطاغية أن يفعل بالجماهير هذه الفعلة إلا وهم فاسقون لا يستقيمون على طريق، ولا يمسكون بحبل الله، ولا يزنون بميزان الإيمان. فأما المؤمنون فيصعب خداعهم واستخفافهم واللعب بهم كالريشة في مهب الريح".

كما يظهر هذا الهوان والذل في ملأ فرعون أيضا من خلال استعباده لهم: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ

فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ (38)﴾ [القصص: 38]، فهل هناك ذل أشد من أن يعبد الإنسان بشرا مثله؟!!

فالله تعالى حذر من معاونة أهل الظلم والكفر، فقال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: 2].

قال شيخ الإسلام رحمه الله كما في الفتاوى: "والثاني: تعاون على الإثم والعدوان كالإعانة على دم معصوم أو أخذ مال معصوم أو ضرب من لا يستحق الضرب ونحو ذلك فهذا الذي حرمه لله ورسوله".

وحذر من الشفاعة لهم فقَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا﴾ [النساء: 85]، "والشافع الذي يعين غيره فيصير معه شفعا بعد أن كان وترا".

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "الشفاعة السيئة إعانته على ما يكرهه الله ورسوله كالشفاعة التي فيها ظلم الإنسان أو منع الإحسان الذي يستحقه" اهـ.

وحرم الركون إليهم فقال تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ (113)﴾ [هود: 113]، قال الجوهري وغيره من أهل اللغة: الركون السكون إلى الشيء والميل إليه، وقال البغوي رحمه الله: هو المحبة والميل بالقلب، فإذا كان الميل بالقلب للظالمين منهي عنه ومحذر من شدة عقوبته، فمن المؤكد أن مساعدتهم ومؤازرتهم وتقديم الدعم لهم داخلة في النهي من باب أولى، تماما كقوله تعالى بحق الوالدين: ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (23)﴾ [الإسراء: 23]، فلا شك أن السب والشتم والضرب للوالدين داخل في النهي من باب أولى؟!!

قال العلامة الآلوسي رحمه الله: "ولعمري إن الآية أبلغ شيء في التحذير عن الظلمة والظلم ".

وتعهد كليم الرحمن لربه أنه لن يكون يوما من الأيام ظهيرا ولا نصيرا للطغاة الظلمة المجرمين، فقال الله جل وعلا على لسان موسى عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ (17)﴾ [القصص: 17].

قال القاسمي في تفسيره: "وأراد بمظاهرتهم، إما صحبة فرعون وانتظامه في جملته وتكثير سواده، وإما مظاهرة من أدت مظاهرته إلى الجرم والإثم، كمظاهرة الإسرائيلي المؤدية إلى القتل الذي لم يحل له. قاله الزمخشريّ.

قال الناصر: لقد تبرأ عليه السلام من عظيم. لأن ظهير المجرمين شريكهم فيما هم بصدده. ويُروى أنه يقال يوم القيامة: أين الظلمة وأعوان الظلمة ؟ فيؤتى بهم حتى بمن لاق لهم ليقة، أو برى لهم قلماً، فيجعلون في تابوت من حديد ويلقى بهم في النار ".

بل أمر الجبار سبحانه وتعالى أن نعتزل مجالسهم، وأن نبتعد عنها، فقال تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ﴾ [النساء: 140]. قال العلامة القرطبي رحمه الله: "دل تعالى بقوله: (إنكم إذا مثلهم) على وجوب اجتناب أصحاب المعاصي إذا ظهر منهم منكر، لأن من لم يجتنبهم فقد رضي فعلهم، والرضا بالكفر كفر، قال الله عز وجل:(إنكم إذا مثلهم)، فكل من جلس في مجلس معصية ولم ينكر عليهم، يكون معهم في الوزر سواء، وينبغي أن ينكر عليهم إذا تكلموا بالمعصية وعملوا بها، فإن لم يقدر على النكير عليهم، فينبغي أن يقوم عنهم حتى لا يكون من أهل هذه الآية ".

قال ابن مسعود ﷺ: "إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل، كان الرجل يلقى الرجل فيقول: يا هذا اتق الله و دع ما تصنع فإنه لا يحل لك، ثم يلقاه من الغد، فلا يمنعه أن يكون أكيله و شريبه و قعيده، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض، ثم قال: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: 78] إلى قوله: ﴿فَاسِقُونَ (27)﴾ [الحديد: 27] ثم قال: كلا و الله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر و لتأخذن على يدي الظالم، و لتأطرنه على الحق أطرا، ولتقصرنه على الحق قصرا ".

وجاءت السنة النبوية محذرة من إعانة الطغاة الظلمة ولو حتى بالكلمة، بل حتى ولو بالقلب، لأنك لو رضيت كأنك عملت.

عن ابن عباس ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: "من أعان ظالما ليدحض بباطله حقا فقد برئت منه ذمة الله و ذمة رسوله "رواه الحاكم وحسنه الألباني.

قال ابن الأثير: "الذمة والذمام: بمعنى العهد والأمان والضمان والحرمة والحق، وقوله ﷺ " فقد برئ من ذمة الله" أي إن لكل أحد من الله عهدا بالحفظ والكلاءة، فإذا ألقى بيده إلى التهلكة، أو فعل ما حرم عليه أو خالف ما أمر به خذلته ذمة الله تعالى وتبرأت منه".

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ " من أعان على خصومة بظلم، أو يعين على ظلم، لم يزل في سخط الله حتى ينزع". رواه ابن ماجه وصححه الألباني.

عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال النبي ﷺ: " من أعان قومه على ظلم، فهو كالبعير المتردي ينزع بذنبه". رواه أحمد وصححه الألباني.

(بِذَنَبِهِ)، أَيْ: يُجَرّ مِنْ وَرَائِهِ.

قال الخطابي: "معنى الحديث، أنه قد وقع في الإثم وهلك كالبعير إذا تردى في بئر فصار ينزع بذنبه ولا يقدر على الخلاص".

بل من رضي بذلك منهم وإن لم يدعمهم، فإن له مثل حكمهم، فقد قال رسول الله ﷺ: "إذا عملت الخطيئة في الأرض، فمن شهدها فكرهها كان كمن غاب عنها، ومن غاب عنها فرضيها كان كمن شهدها" رواه أبو داود، وحسنه الألباني.

قال العظيم آبادي في عون المعبود: "أي في المشاركة في الإثم وإن بعدت المسافة بينهما" اهـ.

وقال أيضا ﷺ: "إنه يستعمل عليكم أمراء فتعرفون وتنكرون، فمن كره فقد برئ، ومن أنكر فقد سلم، ولكن من رضي وتابع". رواه مسلم.

قال السيوطي في الديباج: "أي هو المؤاخذ المعاقب" اهـ.

عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: " أمر بعبد من عباد الله أن يضرب في قبره مائة جلدة، فلم يزل يسأل ويدعو حتى صارت جلدة واحدة، فجلد جلدة واحدة، فامتلأ قبره عليه نارا، فلما ارتفع عنه قال: علام جلدتموني؟، قالوا: إنك صليت صلاة بغير طهور، ومررت على مظلوم فلم تنصره". أخرجه الطحاوي، وحسنه الألباني.

فهذا حال من لم ينصر المظلوم مع قدرته على نصره فكيف حال الظالم؟

قال الإمام الغزالي في الإحياء: "وبالجملة إنما فسدت الرعية بفساد الملوك وفساد الملوك بفساد العلماء فلولا القضاة السوء والعلماء السوء لقل فساد الملوك خوفا من إنكارهم ولذلك قال ﷺ: "لا تزال هذه الأمة تحت يد الله وكنفه، ما يمالئ قراؤها

أمراءهـا" حـديث لا تـزال هـذه الأمـة تحـت يـد الله وكنفـه مـالم يمـالئ قراؤهـا أمراءهـا أخرجه أبو عمرو الداني في كتاب الفتن من رواية الحسن مرسلا ".

"يكـون في آخـر الزمـان شـرط يغـدون في غضـب الله ويروحـون في سـخط الله، فـإياك أن تكون منهم".

وعـن أبي سـعيد و أبي هريـرة رضـي الله عنهمـا قـالا قـال رسـول الله ﷺ :"ليـأتين علـيكم أمـراء يقربـون شـرار النـاس ويـؤخرون الصـلاة عـن مواقيتهـا فمـن أدرك ذلـك مـنكم فـلا يكـونن عريفـا ولا شـرطيا ولا جابيـا ولا خـازنا ". رواه ابـن حبـان في صـحيحه وحسـنه الألباني.

قـال ابـن عمـر رضـي الله عنهمـا: "الجـلاوزة (أي أعـوان الظلمـة) والشّـرط، كـلاب النّـار يوم القيامة ".

من هم أعوان الظلمة

قال شيخ الإسلام رحمه الله كما في الفتاوى: "قال غيْرُ واحدٍ من السَّلَف: أعوانُ الظلمَةِ مَن أعانَهُم ولوْ أنه لاَقَ لهم دواةً أو برى لهم قَلَماً، ومنهم مَن يقول: بل من يغسل ثيابهم من أعوانهم، وأعوانهم هم أزواجهم المذكورون في الآية ".

أي قوله تعالى ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ (22)﴾ [الصافات: 22].

عدّ الإمام المؤرخ الذهبي المكس من الكبائر وقال: "المكَّاس من أكبر أعوان الظلمة، بل هو من الظلمة أنفسهم، فإنه يأخذ ما لا يستحق، ويعطيه من لا يستحق".

قال خياطٌ للإمام ابن المبارك رحمه الله: "أنا أخيط ثياب السلاطين، فهل تخاف عليَّ أن أكون من أعوان الظلمة ؟ قال: "لا، إنما أعوان الظلمة الذين يبيعون منك الخيوط والإبرة، وأما أنت فمن الظلمة أنفسهم ".

وقال الإمام سعيد بن المسيب رحمه الله: "لا تملؤا أعينكم من أعوان الظلمة إلا بالأنكار من قلوبكم لكيلا تحبط أعمالكم الصالحة ".

قال أبو بكر المروذي: "لما سجن أحمد بن حنبل جاء السجان فقال له: يا أبا عبد الله الحديث الذي روي في الظلمة، وأعوانهم صحيح ؟ قال: نعم".

قال السجان: "فأنا من أعون الظلمة ؟ قال أحمد: فأعوان الظلمة من يأخذ شعرك، ويغسل ثوبك، ويصلح طعامك، ويبيع ويشتري منك، فأما أنت فمن أنفسهم".

وجاء رجل خياط إلى سفيان الثوري رحمه الله، فقال: إني رجل أخيط ثياب السلطان، هل أنا من أعوان الظلمة ؟ فقال سفيان: بل أنت من الظلمة أنفسهم، ولكن أعوان الظلمة من يبيع منك الإبرة والخيوط !!.

ذو النون المصري رحمه الله: لما سجنه السلطان في كلام أنكره عليه العامّة من العلم الغامض كانت المائدة من قبل السلطان تختلف إليه فلم يكن يطعم منها شيئاً، ولم يأكل أياماً كثيرة مدة مقامه في السجن، فكانت له أخت تبعث إليه من مغزلها وتدفعه إلى السجّان فيحمله إليه ويعرفه أنه من قبل تلك الأخت الصالحة، فلم يأكل أيضاً منه، فلما خرج لقيته الأخت فعاتبته على ردّ الطعام.

وقالت: قد علمت أنه كان من مغزلي؟ فقال: نعم، إلا أنه جاءني على طبق ظالم فرددته لأجل الظرف يعني بهذا يد السجان. (قمة الورع).

الإمام سفيان الثوري رحمه الله كان عند المهدي فكان بيد المهدي درج أبيض وقد أُدخل عليه الثوري فقال له: يا أبا عبد الله أعطني الدواة حتى أكتب، فقال: أخبرني بأيّ شيء تكتب، فإن كان حقّاً أعطيتك وإلاّ كنت عوناً على الظلم.

قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: إذا اشترى الرّجل من رجل شيئا وهو يعلم أنّه سرقه فقد شاركه.

كان بمكة أمير قد أمر رجلاً أن يقوم له على الصناع في عمارة ثغر من الثغور قال: فوقع في نفسي من ذلك شيء، فسألت سفيان عن ذلك فقال: لا تفعلنّ ولا تكنّ عوناً لهم على قليل ولا كثير.

فقلت: يا أبا عبد الله سور في سبيل الله تعالى للمسلمين فقال: نعم ولكن أقل ما يدخل عليك أن تحبّ بقاءهم ليوفونك أجرتك، فتكون قد أحببت من بغض الله

عـزّ وجـلّ، وقـد جـاء في الخـبر:"مـن دعـا لظـالم بالبقـاء فقـد أحـبَّ أنْ يعصـي الله عـزّ وجلّ".

قـال مكحـول الدمشـقي رحمـه الله: "ينـادي منـاد يـوم القيامـة أيـن الظلمـة وأعـوانهم فمـا يبقـى أحـد مـد لهـم حِـبراً أو حَبَـرَ لهـم دواة أو بَـرى لهـم قلمـا فمـا فـوق ذلـك، إلا حضـر معهم فيجمعون في تابوت من نار فيلقون في جهنم ".

أعوان الظالمين أنواع وأصناف ودرجات

1. هناك منهم من يمثل للظالمين اليد الباطشة والقوة الضاربة التي بها يبطش ويضرب ويعتدي ويخيف الناس وهذا الصنف من أعلى درجات معاونة الظالمين ولأجل ذلك ثبت أن النبي ﷺ أنه توعد هذا الصنف بأنه من أهل النار ولا يدخل الجنة ولا يجد ريحها ومعه صنف آخر من النساء الكاسيات العاريات المميلات المائلات، فعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « صنفان من أهل النار لم أرهما، قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات، رءوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة، ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا». أخرجه مسلم.
2. وصنف آخر وهو كل من يحرض على الظلم والعدوان على الأبرياء من خلال مواقعه ومنابره سواء كانت دينية أو صحفية أو إعلامية أو فنية وهؤلاء أيضا لا يقلون إثما ولا جرما عن النوع السابق وفي هؤلاء يقول النبي صلى الله عليه وسلم: « إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سُخْطِ اللَّهِ، لَا يَرَى بِهَا بَأْسًا، فَيَهْوِي بِهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ سَبْعِينَ خَرِيفًا». أخرجه ابن ماجه من طريق أبي هريرة.
3. وهناك صنف آخر يلي هؤلاء بالميل القلبي إلى ما يفعله الظالمون بالأبرياء والرضا به بل منهم من يفرح ويشمت بظلم الأبرياء والعدوان عليهم بغير حق وعلى هؤلاء أن يراجعوا إيمانهم وأن يقفوا طويلا أمام حديث النبي صلى الله عليه وسلم: « لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ». أخرجه

البخـاري مـن طريـق أنـس. فمـن كمـال الإيمـان وتمامـه أن تحـب للنـاس العـدل كما تحبه لنفسك وتكره لهم الظلم كما تكرهه لنفسك.

4. وهنـاك مـن يشـارك ويعـاون بسـلبيته وخذلانـه لإخوانـه وعـدم إنكـاره علـى الظـالم فعـن أبي هريـرة، قـال: قـال رسـول الله ﷺ: « لا تحاسـدوا، ولا تناجشـوا، ولا تباغضـوا، ولا تـدابروا، ولا يبـع بعضـكم علـى بيـع بعـض، وكونـوا عبـاد الله إخـوانا المسـلم أخـو المسـلم، لا يظلمـه ولا يخذلـه، ولا يحقـره التقـوى هاهنـا » ويشـير إلى صـدره ثـلاث مـرات « بحسـب امـرئ مـن الشـر أن يحقـر أخـاه المسـلم، كـل المسلم على المسلم حرام، دمه، وماله، وعرضه». أخرجه مسلم.

نصرة المسلم حق وواجب

من حق المسلم على المسلم النصرة والمؤازرة وعدم الخذلان قال تعالى: ﴿وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ﴾ [الأنفال: 72].

وعن أنس ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: "انصر أخاك ظالما أو مظلوما" فقال رجل: يا رسول الله أنصره إذا كان مظلوما أفرأيت إذا كان ظالما كيف أنصره؟ قال: " تحجزه أو تمنعه من الظلم فإن ذلك نصره". أخرجه مسلم.

فرد الظالم عن ظلمه ومنعه منه عده النبي ﷺ نصرة للاثنين معا للظالم وللمظلوم، نصرة للظالم بمنعه عن الظلم ونصرة للمظلوم بدفع الظلم عنه.

تبرأ النبي ﷺ من أعوان الظالمين وحرمهم من الورود على حوضه

فعن كعب بن عجرة قال: خرج إلينا رسول الله ﷺ ونحن تسعة خمسة وأربعة، أحد العددين من العرب، والآخر من العجم، فقال: «اسمعوا، هل سمعتم أنه ستكون بعدي أمراء، من دخل عليهم فصدقهم بكذبهم، وأعانهم على ظلمهم، فليس مني ولست منه، وليس يرد علي الحوض، ومن لم يدخل عليهم، ولم يصدقهم بكذبهم، ولم يعنهم على ظلمهم، فهو مني وأنا منه، وسيرد علي الحوض». أخرجه النسائي.

تسليط الله الظالم على الظالم

فالشعوب إذا ما فشا فيها الظلم سلط الله عليها حاكما ظالما، قال بنو إسرائيل لموسى: سل ربك يبين لنا علامة رضاه وعلامة سخطه، فسأل موسى ربه فقال له رب العزة جل وعلا: يا موسى أخبرهم أن علامة رضاي أن أستعمل عليهم خيارهم وأن علامة سخطي أن أستعمل عليهم شرارهم.

فالله سبحانه من عقوباته أنه يسلط الظالم على الظالم وقد جاء في الأثر من أعان ظالما سُلط عليه ﴿وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (129)﴾ [الأنعام: 129]، يقول مالك بن دينار: قرأت في الزبور أن الله ينتقم من المنافقين بالمنافقين.

قال القرطبي في تفسيره: "وهذا تهديد للظالم إن لم يمتنع من ظلمه سلط الله عليه ظالما آخر. ويدخل في الآية جميع من يظلم نفسه أو يظلم الرعية، أو التاجر يظلم الناس في تجارته أو السارق وغيرهم. وقال فضيل بن عياض: إذا رأيت ظالما ينتقم من ظالم فقف، وانظر فيه متعجبا. وقال ابن عباس: إذا رضي الله عن قوم ولى أمرهم خيارهم، إذا سخط الله على قوم ولى أمرهم شرارهم. وفي الخبر عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "من أعان ظالما سلطه الله عليه".

وقيل: المعنى نكل بعضهم إلى بعض فيما يختارونه من الكفر، كما نكلهم غدا إلى رؤسائهم الذين لا يقدرون على تخليصهم من العذاب أي كما نفعل بهم ذلك في الآخرة كذلك نفعل بهم في الدنيا. وقد قيل في قوله تعالى:"نُوَلِّهِ ما تَوَلَّى "نكله إلى ما وكل إليه نفسه. قال ابن عباس: تفسيرها هو أن الله إذا أراد بقوم شرا ولى أمرهم

شـرارهم. يـدل عليـه قـول تعالى:"﴿وَمَـا أَصَـابَكُمْ مِـنْ مُصِـيبَةٍ فَبِمَـا كَسَـبَتْ أَيْـدِيكُمْ﴾ [الشورى: 30]".

وقـال الآلوسـي في تفسـير هـذه الآيـة: "وقـد اسـتدل بالآيـة علـى أن الرعيـة اذا كـانوا ظـالمين فـان الله تعـالى يسـلط علـيهم ظالمـا مـثلهم، وفي الحـديث: كمـا تكونـوا يـولى عليكم ".

قـال بعـض المفسـرين: "ولـو أن الـذين ظُلمـوا مُكّـِن لهـم ممـن ظَلمـوهم مـا صَـنعوا فـيهم مـا يصـنعه الظـالمون في بعضـهم بعضـا. إن الحـق يسـلط الظـالمين علـى الظـالمين، وينجـى أهل الخير من موقف الانتقام ممن ظلموهم ".

وقال المأمونُ الخليفةُ العباسِيُّ لبعضِ وُلَاته: «لَا تَظْلِمْ لِي فَيُسَلِّطَنِي اللهُ عَلَيْكَ».

وَمَـا مِـنْ يَـدٍ إِلَّا يَـدُ اللهِ فَوْقَهَـا ... ولَا ظَـالِمٍ إِلَّا سَـيُبْلَى بِأَظْلَـمِ

كسـرى ظلـم يـوم أن مـزق صـحيفة النـبي ﷺ فسـلط الله عليـه ولـده شـيرويه فقتلـه ومـزق الله ملك كسرى.

ونقفـور ملـك الأرمـن يقـول ابـن كثير في ترجمتـه أنـه قـد قتـل وظلـم وفعـل بالمسـلمين مـا فعـل وصـنع في خلافـة سـيف الدولـة مـا صـنع قـال فسـلط الله عليـه زوجتـه فقتلتـه وسـط قصره.

يقـول عبـد الملـك بـن عمـير رأيـت رأس الحسـين بـن علـي ﵄ (حـين قتـل مظلومـا) بـين يـدي ابـن زياد في قصـره في الكوفـة، ثم رأيـت رأس ابـن زياد بـين يـدي المختـار، ثم رأيـت رأس المختـار بـين يـدي مصـعب، ثم رأيـت رأس مصـعب بـين يـدي عبـد الملـك فقيل له كم كان بين الرؤوس من الزمن؟ فقال: اثنا عشر عاما.

إنها عقوبة من الله لكل ظالم فردا كان أم شعبا أن الله يسلط عليه من هو أشد منه ظلما.

وقد روى أهل السير أن ابنة هولاكو حين دخلت بغداد مرت بعالم جليل في حلقة علم بين طلابه فقالت: اتوني بهذا العالم مربوط اليدين والرجلين، فلما جاءوا به على هذه الصورة المهينة فقالت له: إن الله يحبنا ولا يحبكم فقد نصرنا عليكم ولم ينصركم علينا ﴿وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [آل عمران: 13]، فرد عليها فقال: يا أمة الله أرأيت راعي الغنم؟ قالت بلى. قال: أرأيت أن له كلابا؟ قالت: بلى. قال: فما شأن الكلاب؟ قالت: ترد ما شرد من الغنم. قال: فذلك مثلنا ومثلكم، فالراعي هو الله ونحن الغنم وأنتم الكلاب، فمتى ما خرجنا عن سلطان الله سلطكم الله علينا ليردنا إلى سلطانه.

فالظالم يُسلط عليه ظالم، والمنافق يُسلط عليه منافق، والمجرم يُسلط عليه مجرم، رأت شاة خصومة ذئب وضبع، فقال الذئب للضبع: أنت جبان فلا تسير إلا بالليل ولا تقتل فريستك إلا بالظلام، فرد عليه الضبع فقال: بل أنت الجبان فلا تقتل إلا القاصية من الغنم والشاردة عن راعيها وحاميها، والشاة تنظر إلى تخاصمهم وتقول اللهم اضرب الظالمين بالظالمين وأخرجني من بينهم بسلام.

بنو إسرائيل خرجوا من أريحا يقصدون فتح مدينة (بيوس) وهي اسم مدينة القدس آنذاك فما مروا على مدينة من مدن فلسطين إلا وقتلوا كل من فيها من إنسان وحيوان، فعلوا ذلك في أريحا وبيوس، وهي أمهات المدن الفلسطينية آنذاك". ونصوص التوراة تؤكد أن بني إسرائيل كانوا يحرقون كل مدينة فتحوها بعد قتل من فيها من الأميين.

ولما استقل اليهود بالحكم في فلسطين بعد ذلك عاثوا في الأرض فسادا كما تقتضيه السجية اليهودية، فانتقم الله منهم فسلط عليهم (بختنصر) ملك بابل فهاجم القدس البابليون بقيادة الملك المذكور واحتلوها عام 597 قبل الميلاد فقتل الكثير من سكانها.

ولكن الإسرائيليين ثاروا ضده وخلعوا طاعته فعاد إليهم عام 586 قبل الميلاد وحاصر القدس مدة سنتين ثم فتحها وقتل كل من شاء من اليهود وأخذ معه أشراف بني إسرائيل وعلى رأسهم (حزقيا) أسرى إلى بابل، وغادر القدس بعد أن أحرق المعبد وهدم المدينة وتركها في صورة مقبرة. وبقيت القدس مهجورة حتى انقرض ملك البابليين واستولى على بابل أحد ملوك فارس الأقدمين المعروف (كورش) فعطف على اليهود وأحسن إليهم وأعادهم إلى القدس وساعدهم في تجديد بناء المدينة المقدسة.

ولما استعاد اليهود حريتهم عادوا إلى الفساد والظلم، فسلط الله عليهم أحد خلفاء اسكندر المقدوني فقد هاجم القدس القائد الروماني (انتيوخوس آبيفانوس) عام 168 قبل الميلاد وأحتلها وخرب المعبد وهدم حصار المدينة وقتل معظم سكانها.

في حـديث أبي الـدرداء مرفوعـاً: "الـبر لا يبلـى والإثم لا ينسـى والـديان لا ينـام، فكـن كما شئت، كما تدين تدان ". حديث ضعيف.

قـال المـاوردي سمعـت أبا إسـحاق إبـراهيم بـن مضـارب بـن إبـراهيم يقـول سمعـت أبي يقـول سـألت الحسـين بـن الفضـل فقلـت إنـك تخـرج أمثـال العـرب والعجـم مـن القـرآن فهـل تجـد في كتـاب الله قلـت فهـل تجـد فيـه مـن أعـان ظالمـا سـلط عليـه قـال: ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ (4)﴾ [الحج: 4].

حصـادك يومـا مـا زرعـت وإنمـا ... يـدان الفـتى يومـاً كمـا هـو دائـن
إن زرعـت خـيراً حصـدت خـيراً ... وإن زرعـت شـراً حصـدت مثلـه
وإن لم تـزرعِ وأبصـرت حاصـداً ... ندمت على التفريط في زمـن البـذر

وقال الشاعر:

إذا مـا الـدَّهر جـرَّ علـى أُناس ... حوادثَـه أناخَ بآخَرِينَـا
فقُـلْ للشّـامتين بنـا أَفيقـوا ... سَـيَلقى الشـامِتون كمـا لقِينـا

أبو مسلم الخرساني السفاح

قـال ابـن كثـير رحمـه الله: "وقـد ذكـرنا طاعـة أبي مسـلم للسـفاح واعتنـاءه بأمـره وامتثـال مراسـيمه فلمـا صـار الأمـر إلى المنصـور اسـتخف بـه واحتقـره ومـع هـذا بعثـه إلى عمـه عبـدالله إلى الشـام فكسـره واسـتنفذ منـه الشـام وردهـا إلى حكـم المنصـور ثم شمخـت نفسـه على المنصـور وهـم بقتلـه ففطـن لـذلك المنصـور مـع مـا كـان مبطنـا لـه مـن البغضـة وقـد سـأل أخـاه لسـفاح غـير مـرة أن يقتلـه كمـا تقـدم ذلـك فـأبى عليـه فلمـا تـولى

المنصــور مــا زال يمــاكره ويخادعــه حــتى قــدم إليــه قــال بعضــهم كتــب المنصــور إلى ابي مسـلم أمـا بعـد فإنـه يـرين علـى القلـوب ويطبـع عليهـا المعاصـي فـع أيهـا الطـائش وافـق أيهـا السـكران وانتبـه أيهـا النـائم فإنـك مغـرور بأضـغاث أحـلام كاذبـة في بـرزخ دنيـا قـد غـرت مـن كـان قبلـك وسـم بهـا سـوالف القـرون هـل تحـس مـنهم مـن أحـد أو تسـمع لهـم ركـزا وإن الله لا يعجـزه مـن هـرب ولا يفوتـه مـن طلـب فـلا تغـتر بمـن معـك مـن شـيعتي وأهـل دعـوتي فكـأنهم قـد صـالوا عليـك بعـد أن صـالوا معـك إن أنـت خلعـت الطاعـة وفارقـت الجماعـة وبـدالك مـن الله مـا لم تكـن تحتسـب مهـلا، مهـلا احـذر البغـي أبا مسـلم فانـه مـن بغـى واعتـدى تخلـى الله عنـه ونصـر عليـه مـن يصـرعه لليـدين والفـم واحـذر أن تكـون سـنة في الـدين قـد خلـوا مـن قبلـك ومثلـه لمـن يأتي بعـدك فقـد قامـت الحجـة وأعـذرت اليـك وإلى أهـل طـاعتي فيـك قـال تعـالى واتـل علـيهم نبـأ الـذي آتينـاه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين.

ولم يـزل المنصــور يراســله تارة بالرغبــة وتارة بالرهبــة، ويســتخف أحــلام مــن حولــه مــن الامـراء والرسـل الـذين يبعـثهم أبـو مسـلم إلى المنصـور ويعـدهم، حـتى حسـنوا لابي مسـلم في رأيـه القـدوم عليـه سـوى أمـير معـه يقـال لـه نيـزك، فإنـه لم يوافـق علـى ذلـك، فلمـا رأى أبا مسـلم وقـد انطـاع لهـم أنشـد عنـد ذلـك البيـت المتقـدم، وهـو: مـا للرجـال مـع القضـاء محالـة * ذهـب القضـاء بحيلـة الاقـوام وأشـار عليـه بأن يقتـل المنصـور ويسـتخلف بدلـه فلـم يمكنـه ذلـك، فإنـه لمـا قـدم المـدائن تلقـاه الامـراء عـن أمـر الخليفـة، فمـا وصـل إلا آخـر النهـار، وقـد أشـار أبـو أيـوب كاتـب الرسـائل أن لا يقتلـه يومـه هـذا كمـا تقـدم فلمـا وقـف بـين يـدي الخليفـة أكرمـه وعظمـه وأظهـر احترامـه، وقـال: اذهـب الليلـة فأذهب عنك وعثاء السفر ثم ائتني من الغد.

فلمـا كـان الغـد أرصـد لـه مـن الامـراء مـن يقتلـه، مـنهم عثمـان بـن نهيـك، وشـبيب بـن واج، فقتلوه كما تقدم.

ويقال بل أقام أياما يظهر له المنصور الاكرام والاحترام، ثم نشق منه الوحشة فخاف أبو مسلم واستشفع بعيسى بن موسى واستجار به، وقال: إني أخافه على نفسي.

فقال: لا بأس عليك فانطلق فإني آت وراءك، أنت في ذمتي حتى آتيك، - ولم يكن مع عيسى خبر بما يريد به الخليفة - فجاء أبو مسلم يستأذن على المنصور فقالوا له: اجلس ههنا فإن أمير المؤمنين يتوضأ، فجلس وهو يود أن يطول مجلسه ليجيء عيسى بن موسى فأبطأ، وأذن له الخليفة فدخل عليه فجعل يعاتبه في أشياء صدرت منه فيعتذر عنها جيدا، حتى قال له: فلم قتلت سليمان بن كثير، وإبراهيم بن ميمون، وفلانا، وفلانا ؟ قال: لانهم عصوني وخالفوا أمري.

فغضب عند ذلك المنصور وقال: ويحك! أنت تقتل إذا عصيت، وأنا لا أقتلك وقد عصيتني؟ وصفق بيديه وكانت الاشارة بينه وبين المرصدين لقتله -، فتبادروا إليه ليقتلوه فضربه أحدهم فقطع حمائل سيفه، فقال: يا أمير المؤمنين استبقني لأعدائك، فقال: وأي عدو لي أعدى منك، ثم زجرهم المنصور فقطعوه قطعا ولفوه في عباءة".

قيل لعبد الله بن المبارك: أبو مسلم كان خيراً أو الحجاج؟ قال: لا أقول إن أبا مسلم كان خيراً من أحد، ولكن الحجاج كان شراً منه.

الطاهرُ بنُ الحسين

كان طاهرُ بنُ الحسين أحدَ أهمِّ القادةِ الذين نصروا المأمونَ ابنَ الرشيدِ على أخيه الأمينِ، وهو الذي قام بقتلِ الأمينِ، ومع أنه فعل ذلك إخلاصًا للمأمونِ، فإنَّ الأخيرَ لم ينْسَ له أنَّ ذُلَّ أخيه وقتْلَه كان على يدِه، ولم يزلْ يُدَبِّر له حتى دسَّ له خادمًا سقاه السُّمَّ بعد أن ولَّاه خُراسان.

مُحَمَّد بن عبد الملك بن الزيات

قال الذهبي: "مُحَمَّد بن عبد الملك بن أبان بن الزيات، كان والده زياتا سوقيا، فساد هذا بالأدب وفنونه، وبراعة النظم والنثر، ووزر للمعتصم وللواثق، وكان معاديا لابن أبي دواد، فأغرى ابن أبي دواد المتوكل، حتى صادر ابن الزيات وعذبه، وكان يقول بخلق القرآن، ويقول ما رحمت أحداً قط، الرحمة خور في الطبع، فسجن في قفص، حرج جهاته بمسامير كالمسال، فكان يصيح: ارحموني، فيقولون: الرحمة خور في الطبيعة ".

وكان قد حبسه قبل أن يدخله التنور أياماً.

فكتب إليه في الحبس بقوله: من البسيط:

هِيَ السبِيلُ فَمِن يَومٍ إِلَى يَوم ... كَأنهُ مَا تُرِيكَ العَين في النومِ
لاَ تَعجَلَن رُوَيداً إنهَا دُوَل ... دنيَا تَنقل مِن قَومٍ إِلَى قَوْمِ

أبو عبد الله الشيعيُّ وأخوه أبو العباس

حين أقام عُبَيْدُ اللهِ المهديُّ الدولةَ العُبَيْدِيَّةُ الشيعيَّةُ (الفاطمية) تخلَّص من كلِّ أتباعِه الذين أعانوه على حربِ أهلِ السُّنَّة، بل تخلَّص من أكبرِ مَنْ وَطَّدُوا مُلْكَه، وهو أبو عبد الله الشيعيُّ وأخوه أبو العباس وأنصارُهم، بعد أن اقتربُوا منه وبدأوا يكتشِفُون كذبَه في دعْوَى أنه المهدي المنتَظَر.

خالد بن برمك

ـ لما حُبس خالد بن برمك وولده قال ولده: يا أبت بعد العز صرنا في القيد والحبس، فقال: يا بني دعوة المظلوم سَرَتْ بليل غفلنا عنها ولم يغفل الله عنها.

أعوان ابن تومرت

قال ابن كثير في البداية والنهاية: "كان ابتداء ملك مُحَمَّد بن تومرت ببلاد المغرب كان ابتداء أمر هذا الرجل أنه قدم في حداثة سنه من بلاد المغرب فسكن النظامية ببغداد واشتغل بالعلم فحصل منه جانبا جيدا من الفروع والأصول على الغزالي وغيره وكان يظهر التعبد والزهد والورع وربما كان ينكر على الغزالي حسن ملابسه ولا سيما لما لبس خلع التدريس بالنظامية أظهر الإنكار عليه جدا وكذلك على غيره ثم إنه حج وعاد إلى بلاده وكان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويقرئ الناس القرآن ويشغلهم في الفقه فطار ذكره في الناس واجتمع به يحيى بن تميم بن المعز بن باديس صاحب بلاد إفريقية فعظمه وأكرمه وسأله الدعاء فاشتهر أيضا بذلك وبعد صيته وليس معه إلا ركوة وعصا ولا يسكن إلا المساجد ثم جعل ينتقل من بلد إلى بلد حتى دخل مراكش ومعه تلميذه عبد المؤمن بن علي وقد كان توسم النجابة والشهامة فيه فرأى في مراكش من المنكرات أضعاف ما رأى في غيرها من ذلك أن الرجال يتلثمون والنساء يمشين حاسرات عن وجوههن فأخذ في إنكار ذلك حتى أنه اجتازت به في بعض الأيام أخت أمير المسلمين يوسف ملك مراكش وما حولها ومعها نساء مثلها راكبات حاسرات عن وجوههن فشرع هو واصحابه في الإنكار عليهن وجعلوا يضربون وجوه الدواب فسقطت أخت الملك عن دابتها فأحضره الملك واحضر الفقهاء فظهر عليهم بالحجة وأخذ يعظ الملك في خاصة نفسه حتى أبكاه ومع هذا نفاه الملك عن بلده فشرع يشنع عليه ويدعو الناس إلى قتاله فاتبعه على ذلك خلق كثير فجهز إليه الملك جيشا كثيفا فهزمهم ابن تومرت فعظم شأنه وارتفع أمره وقويت شوكته وتسمى بالمهدى وسمى جيشه جيش الموحدين وألف كتابا في التوحيد وعقيدة تسمى المرشدة ثم كانت له وقعات مع جيوش صاحب مراكش فقتل منهم في بعض الأيام نحوا من سبعين ألفا وذلك بإشارة أبي عبدالله التومرتي

وكان ذكر أنه نزل إليه ملك وعلمه القرآن والموطأ وله بذلك ملائكة يشهدون به في بئر سماه فلما اجتاز به وكان قد أرصد فيه رجالا فلما سألهم عن ذلك والناس حضور معه على ذلك البئر شهدوا له بذلك فأمر حينئذ بطم البئر عليهم فماتوا عن آخرهم ولهذا يقال من أعان ظالما سلط عليه ".

قال صاحب كتاب دواة الموحدين: "ابن تومرت الذي ادعى المهدوية، ترددت أصداء هزيمة البحيرة بين قبائل الموحدين فزلزلت ثقتهم بابن تومرت، فالمهدي مؤيد من السماء فكيف يهزم من كان حليفه الله... وترتب على هذا التساؤل إعادة النظر في عقيدة المهدي وعلى الرغم من كل الجهود التي بذلها ابن تومرت لإقناعهم بأن قتلاهم في الجنة، فقد بقيت رواسب الشك في مهديته تساور نفوسهم. عندها لجأ ابن تومرت إلى أسلوب المكر والخداع حتى يعيد الثقة بدعوته وقيادته ومهديته. فاتفق مع مجموعة من أتباعه على أن يدفنهم أحياء وجعل لكل واحد منهم متنفساً في قبره وأوصاهم بأن يقولوا إذا سئلوا: "قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً من مضاعفات الثواب على جهاد لمتونة وعلو الدرجات التي نلنا بالشهادة فجدوا في قتال عدوكم فإن ما دعاكم إليه الإمام المهدي صاحبكم حق".

ووعدهم اذا نفذوا ذلك بأن يخرجهم ويجعل لهم منزلة رفيعة. ولما ذهب أكثر الليل اجتمع بأشياخ الموحدين وأوضح لهم بأنهم حزب الله وأنصار دينه وطالبهم بالجد في قتال أعدائهم، وطلب منهم ان كانوا في شك مما يقول أن يذهبوا سوياً إلى قبور قتلاهم في معاركهم مع المرابطين ليحدثوهم بما لقوا من خير ونعيم، وذهب معهم الى مكان إحدى المعارك التي نشبت مع المرابطين وسقط فيها عدد كبير من الموحدين، والتي يوجد فيها ذلك النفر الذين دفنهم أحياء ولقنهم ما يقولون. ولما وصل رفع صوته في المقبرة قائلاً: يا معشر الشهداء خبرونا ما لقيتم من الله عز وجل. فقالوا: وجدنا ما لاعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على بال بشر إضافة الى ما لقنهم

إياه ابن تومرت، عندها ذهل الناس وعادت ثقتهم بالمهدي، وبدلاً من أن يخرج المدفونين قام بإغلاق المنافس التي كان قد تركها لهم فماتوا من فورهم، لأنه خشي أن يخرجوا فيذيعون سره فيفتضح أمره فتكون كارثة عليه ".

الزين الحافظي

قال ابن كثير في البداية والنهاية: "استدعى الملك هولاكو الزين الحافظي وهو سليمان بن عامر العقرباني المعروف بالزين الحافظي وقال له قد ثبت عندي خيانتك وقد كان هذا المغتر لما قدم التتار مع هولاكو دمشق وغيرها مالا على المسلمين وآذاهم ودل على عوراتهم حتى سلطهم الله عليه بأنواع العقوبات والمثلات وكذلك تولى بعض الظالمين بعضا ".

ابن العلقمي

الذي أدخل التتار وجندهم بغداد ووقع ما وقع من الظلم والفساد وسفك الدماء وهتك الأعراض ولم يكن ابن العلقمي بعيداً عن ذلك كله، ولا سالماً منه البتة.

وقد أحسن الذهبي في تعبيره وكان دقيقاً في وصف حالته حين قال: وحفر للأمة قليبا، فأوقع فيه قريبا، وذاق الهوان وبقي يركب كديشاً بعد أن كانت ركبته تضاهي موكب السلطان، فمات غبناً وغماً وفي الآخرة أشد خزياً وأشد تنكيلاً.

ونقل الصفدي ندم ابن العلقمي، حيث لا ينفعه الندم وكان كثير ما يقول: وجرى القضاء بعكس ما أملته، لأنه عومل بأنواع الهوان من أرذال التتار والمرتدة؛ حكي أنه كان في الديوان جالسا فدخل بعض التتار ممن لا وجاهة له راكباً فرسه، فساق إلى

أن وقف بفرسه على بساط الوزير وخاطبه بما أراد، وبال الفرس على البساط وأصاب الرشاش ثياب الوزير وهو صابر لهذا الهوان يظهر قوة النفس وأنه بلغ مراده.

وقد رأته امرأة مسلمة وهو يركب على دابته، والجنود التتر ينتهرونه ليسرع بدابته، ويضربون دابته بالعصا.. وهذا بالطبع وضع مهين جداً لحاكم بغداد الجديد.. فقالت له المرأة المسلمة الذكية: "أهكذا كان بنو العباس يعاملونك؟!

وقد وقعت كلمات المرأة المسلمة الفطنة في نفس مؤيد الدين العلقمي، فانطلق إلى بيته مهموماً مفضوحاً، واعتكف فيه، وركبه الهم والغم والضيق.. لقد كان هو من أوائل الذين خسروا بدخول التتار.. نعم هو الآن حاكم بغداد.. لكنه حاكم بلا سلطة.. إنه حاكم على مدينة مدمرة.. إنه حاكم على الأموات والمرضى!!..

...ولم يستطع الوزير الخائن أن يتحمل الوضع الجديد.. فبعد أيام من الضيق والكمد.. مات ابن العلقمي في بيته!!.

مُحَّد المهدي خطيب مسجد عزبان

قال الشيخ أحمد شاكر في كلمة الحق: "كان (طه حسين) طالباً بالجامعة المصرية القديمة، حين كانت متشرفة برياسة (سمو الأمير فؤاد): (حضرة صاحب الجلالة الملك فؤاد رحمه الله). وتقرر إرساله في بعثة إلى أوربة، فأراد حضرة صاحب العظمة السلطان حسين رحمه الله أن يكرمه بعطفه ورعايته، فاستقبله في قصره استقبالاً كريماً، وحباه هدية قيمة المغزى والمعنى.

وكان من خطباء المساجد التابعين لوزارة الأوقاف، خطيب فصيح متكلم مقتدر، هو الشيخ مُحَّد المهدي خطيب مسجد عزبان. وكان السلطان حسين رحمه الله مواظباً على صلاة الجمعة، في حفل فخم جليل، يحضره العلماء والوزراء والكبراء.

فصلّى الجمعة يوماً ما، بمسجد المبدولي القريب من قصر عابدين العامر. وندبت وزارة الأوقاف ذاك الخطيب لذلك اليوم. وأراد الخطيب أن يمدح عظمة السلطان، وأن ينوه بما أكرم (الشيخ طه حسين)، وحُقّ له أن يفعل. ولكن خانته فصاحته، وغلبه حب التغالي في المدح، فزلّ زلة لم تقم له قائمة من بعدها. وأعتقد أنها كانت أخف من زلتك. إذ قال أثناء خطبته: "جاءه الأعمى، فما عبس في وجهه وما تولى"!

وكان من شهود هذه الصلاة والدي الشيخ مُحَّد شاكر وكيل الأزهر سابقاً رحمه الله. فقام بعد الصلاة يعلن الناس في المسجد أن صلاتهم باطلة، وأمرهم أن يعيدوا صلاة الظهر، فأعادوها....

ولكن الله لم يدع لهذا المجرم جرمه في الدنيا، قبل أن يجزيه جزاءه في الأخرى. فأقسم بالله: لقد رأيته بعيني رأسي، بعد بضع سنين، وبعد أن كان متعالياً متنفخاً، مستعزاً بمن لاذ بهم من العظماء والكبراء، رأيته مهيناً ذليلاً، خادماً على باب مسجد من مساجد القاهرة، يتلقى نعال المصلين يحفظها، في ذلة وصغار. حتى لقد خجلت أن يراني، وأنا أعرفه وهو يعرفني، لا شفقة عليه، فما كان موضعاً للشفقة، ولا شماتة فيه، فالرجل النبيل يسمو على الشماتة، ولكن لما رأيت من عبرة وموعظة".

شفيق الكمالي

الذي قال في صدام حسين:

تبـــارك وجهـــك القدســـي فينـــا كوجـــه الله ينضـــح بالجـــلال

هـذا اللسـان الـذي مـدح هـذا المـدح الكفـري عنـدما قامـت الحـرب العراقيـة وامتـدت وذهبـت الوفـود للخميـني تطلـب منـه إيقـاف الحـرب قـال بشـرط واحـد أن ينـزل صـدام، فـبعض البعثيـين قـالوا: إن الـرئيس ضـحى كثـيرا مـن أجـل الـوطن، فـلا بأس لـو ضـحى الـرئيس بهـذه مـن أجـل الـوطن مـنهم شـفيق الكمـالي، أرسـل وراءه قـال سمعـت أنـك تقـول كـذا وكـذا، قـال أنـت رئيسـنا وعلمتنـا التضـحية وقلـت هـذا، قـال: مـد لسـانك، مد لسانه فقطعه بيده، قطع لسانه بيده، بالمقص.

شعراوي جمعه

الـذي كـان وزيـرا للداخليـة في مصـر، نكايـة بالإخـوان المسـجونين منـع دخـول الفواكـه إلـيهم، طلـب مُحَمَّد قطـب بعـد سـبع سـنوات مـن السـجن أن يـزور أختـه في داخـل السـجن، بعـد سـت سـنوات أختـه في نفـس السـجن في القنـاطر الخيريـة، فطلـب مـن مـدير السـجن، قـال: مـا أقـدر على هـذا، وزيـر الداخليـة قـال: بلغـوا مُحَمَّد قطـب لـن يـرى أختـه لا حيـة، ولا ميتـة، لم يمـض علـى هـذا الكـلام عـام، وإلا مُحَمَّد قطـب وأختـه في البيـت. وشـعراوي جمعـة في السـجن، شـعراوي جمعـة نفسـه في السـجن، توسـط الملـك فيصـل عنـد أنـور السـادات قـال لـه: أخـرج هـؤلاء يكفـيهم الـبلاء الـذي حـل بهـم، فخرجت حميدة وخرج أخوها معها –حميدة قطب.

جاءت زوجة شعراوي بفواكه لتزوره، فالشرطي على باب السجن قال: ما هذا؟ قالت: هذه لزوجي، لشعراوي بيك، فقال لها: هو زوجك شعراوي جمعة؟ قالت: نعم ; قال زوجك أخرج قانونا أنه لا يجوز دخول الفواكه إلى السجن، وأنا كنت أطيعه وهو في خارج السجن وزيرا، وسأطيعه وهو في داخل السجن، والله لن يذوق حبة واحدة.

شمس بدران

الذي كان مديرا للمخابرات ووزيرا للحربية، في الأخير وضع في نفس السجن، في زنزانة، كان يقول: رحم الله سيد قطب، لعل هذه الزنزانة التي كنا قد سجناك فيها في نفس مكان سيد قطب، كان يتفنن بتعذيب الإخوان، فالشرطة الذين كانوا يأتون لتعذيبه يقولون: دون مؤاخذة يا بيك أنت الذي علمتنا التعذيب، دون مؤاخذة يا بيك، فليلة أن دخل السجن كاد ينفجر شمس بدران، طيلة الليل الإخوان يكبرون، شمس بدران!! شمس بدران يدخل السجن الحربي؟!! فصار تكبير طيلة الليل.

صادق قطب زادة

تولى مناصبَ متعددةً للهالك الخُمَيني، ثم أعدمَه الخميني، ولم يَرْعَ فيه السنواتِ العشرينَ التي أفناها في خدمتِه.

آية الله محمود طالقاني

ممن أعان الخميني الهالك على الثورة، ووقع صدام بين آية الله محمود طالقاني وآية الله الخميني منذ بداية الثورة، وكان الخميني شديد الخشية من شعبية طالقاني وحسن صلاته مع الجبهة الوطنية من جهة وفصائل اليسار من جهة أخرى.

وعندما خرج طالقاني غاضبا من طهران أغلقت المدينة أبوابها وخرج أنصاره في مظاهرة زاد عدد المشتركين فيها على خمسين ألف متظاهر.

ثم مات طالقاني وجاء مُحَمَّد منتظري عضو اللجنة الاستشارية للهيئة القيادية للحزي الاسلامي الايراني فقال: " انني أعتقد بأن آية الله محمود طالقاني قد دس له السم من جانب عملاء صهاينة". (أي صهاينة الخميني).

ثعلب الصحراء

وهذا القائد الألماني روميل، إيروين (1891 - 1944م). مارشال ألماني، صار أحد ألمع قادة الحرب العالمية الثانية. وقد كان قائدًا لكتيبة إفريقيا، ولُقِبَ بثعلب الصحراء لبراعته في التكتيك الحربي. ولكن في عام 1942م تمكنت القوات البريطانية الموجودة في مصر من إيقاف تقدمه. وفي عام 1944م قاد بعض القوات التي وقفت أمام غزو الحلفاء لمقاطعة نورمنديا الفرنسية. وفقد منصبه لأنه أبلغ هتلر بأنه لا جدوى لألمانيا من استمرار الحرب. وقد تورط في مؤامرة قتل هتلر في يوليو 1944م، وخُير روميل بين المحاكمة أو الانتحار بالسُم. وكان اختياره الانتحار بالسم قد جنب هتلر الكثير من الحرج.

مُحَمَّد بن نايف

لقد انتقم الله من مُحَمَّد بن نايف، انتقم لتلك الأم الثكلى التي تبكي الليل والنهار على بعد ابنها وراء القضبان لعدة سنوات، انتقم الله لذلك الأب الحنون على ابنه الذي كان يأمل أن يرتاح في أخر عمره بابنه، انتقم الله لتلك الزوجة الأيم التي طال انتظارها لزوجها التي تخشى أن تقع في الحرام لبعد زوجها سنوات، انتقم الله لأولئك الأطفال الذين هم في حكم اليتم لبعد أبيهم لم يروا الحنان، وانتقم الله لأولئك الذين يقفون في كل يوم أمام سجون المباحث في الشمس الحارقة منتظرين لجلاديك متى يؤذن لهم ليزوروا ذويهم، كأنك بك اليوم وأنت خلف القضبان، كما تدين تدان.

قد يقول قائل: هو ليس في السجن إنما تحت الإقامة الجبرية.

أقول له: هون عليك هؤلاء لو كانوا في أضخم القصور والفلل فهم في سجن لأنهم يعيشون في حياتهم على الشهوات والملذات وأي شهوة أعظم من الملك وقد أخذ من بين يديه.

عفاش علي صالح

الطاغية الأسود العنسي هو من كبار الظلمة والطواغيت، وإنما ذكرته هنا لأنه أعان الحوثيين على احتلال البلاد وتشريد أهلها وتدميرها عن طريق التحالف السعودي الاماراتي، وبعد أن دمرت البلاد انقلب عليه الحوثي وقلب له رأس المجن وقتله شر قتلة، بل وأبى أن يسلم جثته، بل وباعه أقرب الناس إليه، وهم أتباعه وأنصاره من حزب المؤتمر، ومشايخ القبائل الذين رباهم وأعطاهم أموال الضعفاء، وسلطهم على

الرعية، فإذا بهم أول من باعه، وكذلك حرسه الجمهوري الذي قال في احدى مقابلاته أن عدده قرابة الستين ألف أين هم لم يحموه حتى قتل.

أما عقوبته موالاة الظلمة في الآخرة فهي نفس عقوبة الظالمين، والتي تعتبر العقوبة الأشد والأبقى والأعظم، وهذه العقوبة لا تقتصر على الوعيد بالنار جهنم والعياذ بالله فحسب، وإنما تأخذ أشكالا وألوانا من العذاب غير ذلك.

العذاب الأشد يوم القيامة: قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ (46)﴾ [غافر: 46] أي: أشده ألما وأعظمه نكالا كما ذكر ابن كثير في تفسيره.

ولقد حذرنا نبينا ﷺ، في حديث خالد بن الوليد رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:"أشد الناس عذابا للناس في الدنيا أشد الناس عذابا عند الله يوم القيامة ". رواه أحمد وصححه الألباني.

وقال الذهبي أيضاً: ومما حكي قال بعض العارفين: رأيت في المنام رجلاً ممن يخدم الظلمة والمكاسين بعد موته بمدة في حالة قبيحة فقلت له ما حالك قال شر حال فقلت إلى أين صرت قال: إلى عذاب الله قلت: فما حال الظلمة عنده قال شر حال أما سمعت قول الله عز وجل: "وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ".

قال علي بن الحسين الدرهمي قال: حدثنا الأصمعي عن أبيه قال: رأيت الحجاج في المنام فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: قتلني بكل قتلة قتلت بها إنساناً، ثم رأيته بعد الحول فقلت: يا أبا مُحَمَّد ما صنع الله بك؟ فقال: يا ماصّ بظر أمه أما سألت عن هذا عام أول.

الفرح وسجود الشكر في مصرع الطغاة

فقال النبي ﷺ: "دعه فإن له أصحابا يحقر أحدكم صلاته عند صلاتهم وقراءته عند قراءتهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، يخرجون على حين فرقة من الناس، يقتلهم أولى الطائفتين بالحق، آيتهم المخدج".

يعني ذا الثدية، فكان الأمر كما أخبر ﷺ فإن الرجل المذكور وأصحابه خرجوا على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بعد حرب صفين.

فقتلهم علي رضي الله عنه في النهروان، واستخرج المخدج ذا الثدية، من الماء مقتولا، حتى نظر إليه الناس من عسكره وكانوا ما يقرب من ستين ألفا، فكبر علي حين وجده، وسجد سجدة شكر، وكبر العسكر الذي معه فرحا وسرورا بما شاهدوه من خبر رسول الله ﷺ الذي وقع طبق ما قال.

قال علي بن زيد قال: كنت عند الحسن فجاءه رجل فقال: مات الحجاج فسجد الحسن.

قال إسماعيل بن حماد عن أبيه قال: بشرت إبراهيم النخعي بموت الحجاج فبكى، وقال ما كنت أرى أحداً يبكي من الفرح.

قال ضمرة عن ابن شوذب قال: لما مات الحجاج قال الحسن البصري: اللهم قد أمته فأمت عنا سننه.

قال أبو عمرو بن العلاء قال: هربت من الحجاج وكنت باليمن على سطح يوماً فسمعت قائلاً يقول:

ربما تكره النفوس من الأمر ... له فرجة كحلّ العقال

قال: فخرجت فإذا رجل يقول: مات الحجاج، فما أدري بأيهما كنت أشد فرحاً بفرجةٍ أو بموت الحجاج، قال عمي: والفرجة من الفرج والفرجة فرجة الحائط.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على الرسول النذير صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

بيت المقدس